# جغرافية العالم «قارات العالم»

يقسم الجغرافيون العالم إلى خمس قاراتٍ، وتفصل القارة عن الأخرى بمياه المحيطات الـواسعة، وإذا كانت ثلاث منها متقاربة، وهي: آسيا، وإفريقية، وأوربـا وهي التي تُعـرف بالبر القديم، فإن اثنتين منها بعيدتان وهما: أمريكا واوقيانوسيا، وتعرفان بالبر الجديد. ويرى بعض الجغرافيين أن أوربا ليست سوى شبه جزيرةٍ من قارة آسيا لصغر مساحتها، واتصالها بآسيا، وعدم انفصالها عن قارة إفريقية بمياه المحيطات، ويُطلق هؤلاء على القارة اسم أوراسيا اشتقاقاً من أوربا وآسيا.

تتقارب قارات العالم القديم بعضها من بعض حتى لتتصل أوربا من جهة الشرق بقارة آسيا اتصالاً تاماً يشمل الجهة الشرقية كلها، كما يتقاربان بعضهما من بعض في جهـة جنوب شرقي أوربا، وتكادان تتلامسان فمضيق البوسفور يضيق إلى ثمانمائة متر، وهو الذي تقع عليه مدينة استانبول في الناحية الأوربية، ومضيق الدردنيل يضيق إلى الف مترٍ ويكون بين المضيقين بحر مرمره وتتصل آسيا بأفريقيا في برزخ السويس ومضيق باب المندب يمتد البحر الأحمر كفاصل بين القارتين. ولا تُعدّ قناة السويس فاصلاً مائياً بين القارتين إذ أنها حُفرت بأيدي البشر، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فإن عرضهـا لا يزيد في صفحة الماء العليا على مائةٍ وخمسين متراً، وأما في العمق الذي لا يزيد على أربعة عشر متراً يكون عرض القناة أربعين متراً فقط. وتقترب أوربا من إفريقية فلا يفصلها عنها في ناحية الغرب سوى مضيق جبل طارق الذي يضيق عن خمسة عشر كيلو متراً في بعض نقاطه وينفرج في أوسع مناطقه إلى ما يزيد على ثمانية وثلاثين كيلو متراً بقليل، كما تمتد أشباه جزر أوربية نحو الجنوب مقتربةً من إفريقية فشبه جزيرة ايطالية تقترب من تونس، وتزيد جزيرة صقلية من هذا التقارب فلا يفصل بين القارتين سوى الممر الصقلي الذي تقع في وسطه أيضا جزيرة «قوصرة»، كما تمتد شبه جزيرة اليونان في الجزء الشرقي من البحر المتوسط. وتقترب مساحة هذه القارات

من أربعةٍ وثمانين مليون كيلو متر مربع، وتُوزّع بالتقريب كالآتي:

قارة آسيا : ٤٤ مليون كيلو متر مربع
قارة أفريقية : ٣٠ مليون كيلو متر مربع
قارة أوربا : ١٠ مليون كيلو متر مربع
المجمـــوع : ٨٤ مليون كيلو متر مربع

أما قارتا العالم الجديد فهما أمريكا التي تقرب مساحتهما من أثنين وأربعين مليون كيلو متر مربع، ويفصل المحيط الأطلسي بين هذه القارة وبين قارتي إفريقية وأوربا، على حين يفصل المحيط الهادي بينها وبين قارتي آسيا وأوقيانوسيا.

وتمتد قارة أمريكا من الشمال إلى الجنوب على شكل مثلثين قاعدتهما في الشمال ويتجه رأساهما نحو الجنوب، وهما أمريكا الشمالية التي تُقارب مساحتها أربعةً وعشرين مليون كيلومتر مربع، وأمريكا الجنوبية التي تقرب مساحتها ثمانية عشر مليون كيلومتر مربع. ويصل بين هذين الجزأين امتداد بسيط يعرف باسم أمريكا الوسطى.

أما قارة أوقيانوسيا فهي مجموعة من الجزر تصل مساحتها إلى تسعة ملايين من الكيلو مترات المربعة، وتقع جنوب شرقي آسيا، وأكبر هذه الجزر هي استراليا التي تشمل أكثر هذه المساحة حتى لتعطي اسمها أحياناً للقارة كلها.

ولما كان البشر قد وصل إلى هاتين القارتين «أمريكا وأقيانوسيا» في وقتٍ متأخرٍ من البر القديم، وعاش فيهما منعزلاً لانعزالهما عن بقية القارات، وبعدهما عنها، ثم عرف ذلك إنسان البر القديم ووصل إليهما، فقد عدّ ذلك اكتشافاً لهما، وأطلق عليهما العالم الجديد، أوالبر الجديد.

## السكـــان والتطـــور

كانت بداية وجود البشر عندما خلق الله آدم عليه السلام في جنوب غربي آسيا، وأغلب الظن في شبه جزيرة العرب، ومنها انطلقوا إلى مختلف جهات الأرض، وتكاثروا، وخاصةً في العراق، والشام، ومصر، وأرسل الله لخلقه رسلاً ليبيّنوا لهم النهج القويم، وليرشدوهم إلى عبادة الخالق، ولهذا كان أكثر الأنبياء،

والرسل جميعاً في هذه الرقعة من الأرض ما دامت هي الجزء المعمور فقط من العالم يومذاك.

وردّت الأقوام دعوة رسلهم وخاصةً في جنوبي العراق فكانت نتيجتهم الغرق، وكان الطوفان الذي شمل العراق وشمالي الشام واتصلت مياه البحر المتوسط بمياه الخليج العربي، وأنقذ الله نوحاً ومن آمن معه وما آمن معه إلا قليل، ورست السفينة التي حملتهم على جبل الجودى في شرقي تركيا اليوم، واستقر رُكّاب السفينة هناك، وأخذوا بالتكاثر، وأقلعت السماء عن المطر، وابتلعت الأرض المياه، وعادت الحياة من جديدٍ إلى العراق والشام، وأخذت ترد إليها جماعات من الذين استقرّوا عند جبل الجودي وتكاثروا، كما انطلقوا إلى مختلف الجهات، ومن الذين اتجهوا إلى جنوبي العراق أبناء نوحٍ عليه السلام، حيث عاد العمران من جديد، وتوزّع أبناء سام بن نوح في جزيرة العرب، فكان قوم عاد في منطقة الأحقاف وجنوبي جزيرة العرب، وقد بعث الله إليهم رسوله هوداً، فردّوا الدعوة فعاقبهم الله، ومن أبناء عاد القحطانيون والعرب العاربة. ومن أبناء سام قوم ثمود في غربي جزيرة العرب في وادي القرى وقد أرسل الله إليهم رسوله صالحاً وقد ردّوا دعوته أيضا. ومن الساميين طسم وجديس في منطقة نجد والعمالقة في غربي الجزيرة.

وانتقلت جماعات من الساميين إلى شمالي إفريقية حيث استوطنوا هناك، كما انتقلت جماعات أخرى من جنوبي العراق واستقرّت في الشام، ومن هذه الجماعات كان انتقال إبراهيم الخليل عليه السلام الذي سار من جنوبي العراق إلى «حرّان» في شمال الشام متخذاً وادي الفرات طريقاً له، ومن «حرّان» سار إلى دمشق فالخليل حيث استقرّ فيها، وسافر إلى مصر ورجع إلى موطن استقراره حيث رحل مع زوجه هاجر وابنه إسماعيل فأودعهم وادي مكة قبل أن تكون مكة ومن أحفاد إسماعيل هناك كانت العرب المستعربة التي تكاثرت في جزيرة العرب، وكان مع إبراهيم ابن أخيه لوط بن هاران حيث أقام في وادي العربة جنوب البحر الميت الذي حمل اسمه فعُرف باسم «بحيرة لوط» وكانت قرى قومه جنوب البحيرة تماماً. كما كان مع إبراهيم ابن أخيه الآخر مدين الذي أقام في شمال غربي جزيرة العرب في المنطقة التي حملت اسمه فعرفت باسم «بلاد مدين» وقد أرسل الله لسكان

تلك المنطقة رسوله شعيباً، وردّ أولئك القوم دعوة نبيهم فعاقبهم الله.

وأما حام بن نوح فقد سار إلى شرقي إفريقية وتكاثر أبناؤه هناك، ومنهم من ارتحل إلى شمالي تلك القارة واختلط مع الذين سبقوهم من أبناء سام، وكان المصريون القدماء، وكان البربر في بلاد المغرب وأطراف الصحراء ، وجاءتهم رسلهم، وأما الذين بقوا في شرقي إفريقية فقد ردّوا دعوة أنبيائهم فسلّط الله عليهم أقواماً آخرين ففرّ الأوائل منهم حتى وصلوا إلى جنوب غربي القارة ومنهم قبائل «البوشمن» الذين تناثروا في صحراء «الهوتنتوت» أمام قبائل «البانتو» ودخل بعضهم إلى الغابات مختبئين، وهكذا سلّط الله ظالمين على ظالمين فتوزّع بعضهم في الصحاري وتناثر بعضهم في الغابات، وهكذا توّزع الناس في إفريقية.

وأما يافث بن نوح فقد سار إلى آسيا وتكاثر أبناؤه في بلاد الهند وبلاد الصين عند دالات الأنهار، وفي أوديتها الخصبة، كما تجمّع بعضهم وتكاثر في شمالي بلاد إيران اليوم، ونتيجة ذلك التكاثر في هذه المنطقة غير القابلة لاحتواء الكثير من البشر فقد ارتحل منها جماعات وانطلقوا نحو الشمال الغربي وتوزّعوا في أوربا، وكان ما عُرف بالآريين. وقد جاءت الأنبياء والرسل إلى الأقوام هذه التي استقرت في آسيا فردّوا دعوة الله فسلّط الله عليهم من قاتلهم ففر الذين ظلموا أنفسهم نحو الشمال وعاشوا حياةً قاسيةً داخل الغابات المخروطية وفي الشمال منها في الصحاري الباردة شمالي سيبريا ومن بقاياهم قبائل الصاموئيد، والياقوت وغيرهم. ومنهم من أوغل في الهرب فوصلوا إلى أمريكا الشمالية عن طريق مضيق «بهرنغ» فمنهم من بقي في مكانه واستقرّ وسط تلك الصحاري الباردة ومن بقاياهم قبائل الأسكيمو التي لا تزال تعيش في شمالي كندا وفي شبه جزيرة آلاسكا، ومنهم من أمعن في الهرب وتابع سيره نحو الجنوب حتى وصل بعضهم إلى أمريكا الجنوبية، وهؤلاء جميعاً ما يعرف باسم الهنود الحمر، وهم سكان أمريكا الأوائل مع الأسكيمو، وهكذا وُجد السكان في أمريكا.

وكان من الذين فرّوا من جنوب شرقي آسيا من أمعن في الفرار وركب البحر منتقلاً من جزيرة إلى أخرى حتى وصلوا إلى استراليا فتناثروا داخل صحرائها خائفين وهم الاستراليون القدماء.

وإذا كان الآريون قد توزّعوا في أوربا الشمالية والوسطى فإن الأجزاء الجنوبية

من تلك القارة قد وصل إليها السكان من شمالي إفريقية ومن غربي آسيا وأعمروها، كما ارتحل بعض من أقام في جنوبي أوربا حتى أوربا الغربية والشمالية الغربية كالنورمان، وهكذا توزّع السكان في معظم قارة أوربا. بل يكون بهذا قد عمّ البشر العالم وإن كانت كثافتهم تختلف بين منطقةٍ وأخرى، فهي مخلخلة في الصحاري الباردة، والحارة، وفي المناطق الجبلية، والغابات. وتزداد هذه الكثافة في البلاد المعتدلة وعلى سواحل البحار، وترتفع في دالات الأنهار والمناطق الخصبة في الأراضي الرسوبية والأودية.

## الحضارة المادية

ومع مرور الزمن، ونتيجة الحاجة، وبالتطور الدائم، وللوصول إلى حاجات أفضل وجدت بعض الأساليب المتطورة، وتمت معرفة وسائل جديدة كانت كمرحلة حضارية متقدمة في بعض المناطق عن غيرها في الجهات الأخرى، فقد عرفت وسائل جديدة للري بتوزيع مياه الأنهار، وخزن بعضها، وزراعة أنواع جديدة من الحبوب والثمار، إضافة إلى ركوب البحر وصناعة السفن، والحياكة وصناعة الفخار، وعمل الأخشاب و..

ولكن أهم ما اشتهرت به تلك الحضارات المادية التي وجدت في تلك الأزمان الغابرة إنما كانت في البناء، فشيدت المعابد الضخمة، والقصور الفخمة، وأقيمت الأهرامات، كما وجدت الأصنام والتماثيل، ولايزال بعضها باقٍ إلى اليوم ويدل على مهارةٍ في الفن، وروعة في العمل، وعظمة في الإقامة، ومع هذا فليس فيه أي معنى للحضارة بمعناها الصحيح إذ لم يكن ذلك لخدمة الناس ولا لمصلحتهم، وإنما قام لخدمة الطغاة وبناءً على أوامرهم، وعلى جثث العاملين فيها ولا تزال تحمل الآثار الباقية رمز أنين المظلومين الذين أجبروا على الشغل فيها سُخرةً. ولا يزال صوت السياط التي أدمت جلود العاملين، ومرأى الذين سقطوا إعياءً من التعب، والذين ماتوا من الإرهاق ودفنوا في أمكنتهم... كل هذا تحمله الآثار الموجودة الآن. فظلم الطغاة، وطغيان الكهنة، واستبداد أصحاب السلطة، واستعباد الأقوياء للرعية هو السمة البارزة في تلك الحضارات التي كانت قائمة يومذاك.

**الديانـــــات**

بعث الله النبيين إلى تلك الشعوب، وأرسل الرسل إلى تلكم الأقوام فردّت الجماعات دعوة أنبيائها، ورسالات رسلها، بعث الله يونس إلى الآشوريين، واليسع إلى السلوقيين، والياس إلى الفنيقيين، وأيوب إلى الآراميين، ويوسف، وموسى إلى الفراعنة إضافة إلى ما أرسله إلى الأمم السابقة كإبراهيم، ولوط، وشعيب، وهود، وصالح، ونوح وإدريس إلى أقوامهم، فردت الأقوام دعوة رسلهم فعاقبهم الله فمنهم من أغرقه، ومنهم من خسف بهم الأرض، ومنهم من أبادتهم الريح الصرصر و. . .

وكان الطغاة يدّعون الألوهية، أو أنهم يحكمون باسم الآلهة، ويُنصّبون كهنةً يُؤمّنون على دعوى الطغاة، وسدنةً للمعابد والأصنام التي يُعطونها أسماء آلهةٍ يُوافقون على ما يقوله الكهنة وما يدّعيه المتسلّطون، وينال الكهنة والسدنة نصيبهم من السلطة إذ يُشاركون في قهر الرعية وظلمهم، ويأخذون من الأموال التي كانت دائماً تُرهق الشعب وتُذلّه، ويُسخّرون أفراده في بناء المعابد وإقامة القصور لهم تقليداً لسادتهم، ويعيش الشعب مغلوباً على أمره ذليلاً يتقاسم جهده المتسلّطون والكهنة والسدنة بل يملكون حياته، وما يملك، ونساءه، وأبناءه ولا يجرؤ أحد من الرعية أن يعترض أو يرفض السخرة أويمتنع عن تقديم ما يطلبه السادة ولو كان أعزّ ما يملك من شرفٍ أو حياة.

وقد أرسل الله موسى لفرعون وقومه فاستكبروا في الأرض بغير حق، وأرادوا قتل موسى ومن آمن معه من بني إسرائيل فخرج موسى بقومه، وتبعهم فرعون وجنوده، فنجّى الله بني إسرائيل وأغرق فرعون ومن كان معه. ولكن بني إسرائيل لم يشكروا الله هذه النعمة فعبدوا العجل، وطلبوا من نبيهم موسى عليه السلام أن يصنع لهم أصناما لتكون آلهة لهم، وطلبوا منه أن يُريهم الله جهرةً، وتخاذلوا عن دخول فلسطين، ويعفو عنهم الله بعد كل جحودٍ إذا أبدوا الندم أو أظهروا التوبة، ويعطيهم النعمة بعد الأخرى، ويمدّهم من فضله، ويُقّدم لهم كل ما يطلبونه، ومع ذلك لم يزدادوا إلا جحوداً وكفراناً.

وبعد موسى عليه السلام حرّفوا كتاب الله وبدلّوه، وجاءتهم الأنبياء تترى

تنصحهم، وبعث لهم الرسل ترشدهم إذ أرسل إليهم داود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وكان كلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم فريقاً يكذبون، وفريقاً يقتلون، وادّعوا أنهم شعب الله المختار، وأنه ليس عليهم في الأميين سبيل، وأن عزير ابن الله، وأحلّوا الحرام، وحرّموا الحلال، وارتكبوا المنكرات وطغوا بالكفر.

وجاءهم عيسى بن مريم بالبينات، وأنزل الله عليه الإنجيل، فدعاهم إلى عبادة الله، فكذبوه، وتآمروا عليه، وعملوا على صلبه فأنجاه الله ورفعه إليه، وشبّه لهم آخر هو كبير المجرمين فصلبوه، وزعموا أنهم صلبوا المسيح.

وانتشر حواريو المسيح في الأرض، وكتبوا سيرة المسيح عيسى بن مريم كل حسبما وعى منها، فظنّ بعضهم أنها الانجيل، فترجموا، وحرّفوا، وبدّلوا كلام الله. وانتشرت النصرانية بعد المسيح في عدة مناطق، وكان أبرزها الدولة الرومانية، ولكن هذا الانتشار كان اسماً إذ بقيت الوثنية هي السائدة عندهم، ولكنها حملت اسم النصرانية، وتعصّب بعض الحكام لها، واضطهدوا اليهود فتوزّعوا، وبقيت الوثنية مضمون النصرانية فكانت التماثيل والصور تملأ الكنائس، وبقيت المحرّمات هي التي ترتكب باسم النصرانية والوثنية فزعموا أن المسيح ابن الله، وأنه صُلب، فعبدوا الصليب، واختلفوا في طبيعة المسيح فانقسمت النصرانية إلى أقسام تبعاً لذلك.

وقامت الدول تسيطر على الشعوب وتدّعي أنها تحكم باسم الديانات، وأنها مُمثّلة للإله الذي تدّعيه، ويُعاون الساسة رجال الدين، وتقاسموا المنافع معهم، وظلموا، واستبدوا، وبالغوا في الظلم والطغيان.

### الدول والامبراطوريات

نشأت في العالم المعمور بعد الميلاد عدة دولٍ وامبراطورياتٍ تتحكّم في الشعوب، وتتنافس فيما بينها، ولكلٍ ديانة خاصة مليئة بالخرافات والأساطير وأنواع الشرك والوثنيات ولا تخلو منها واحدة، حتى التي كانت سماوية اعتراها التحريف والتبديل فكان الاسم سماوياً والواقع لا يبتعد كثيراً عن الأخرى من الوثنيات.

قامت الامبراطورية الرومانية وريثة الإغريق والرومان فسيطرت على جنوبي

أوربا وبلاد الأناضول، والشام، ومصر، والمغرب، وكانت لها هيمنتها على أجزاء أخرى واسعة من بلاد العرب، والصقالبة، والأرمن، وربما قامت إمارات أو دول صغيرة تحكم أجزاء من هذه الامبراطورية تحت إشراف الرومان فالغساسنة في الشام عرب يعملون للرومان وتحت نفوذهم، والأقباط في مصر يحكمهم المقوقس باسم الرومان و. . . . وكان المتسلّطون على هذه الأمبراطورية يدّعون الحكم بالنصرانية التي ليست في مضمونها سوى وثنيةٍ لبست ثياب النصرانية، وعمال الرومان في الشام ومصر صورةً مصغرةً عن سادتهم فالشعب يئن من وطأة الظلم، ولا يستطيع أن يرفع أحد منهم رأساً، ورجال الدين متواطئون مع الطغاة ويظلمون رعاياهم، ولا تختلف الرعية عن السوائم أو هكذا ينظر إليها الذين بيدهم مقاليد الأمور، ويدفعون بها إلى الحرب حيث كان التنافس على أشدّه مع دولة الفرس.

والامبراطورية الفارسية تسيطر على فارس، وخراسان، وبلاد الجبل، والعراق، وتدعي أنها حامية النار المقدسة، وشعبها المجوس يتبع حكامه في عبادتهم، فالنار هي المعبودة، وتتعدد عندهم الآلهة واحد للخير، وآخر للشر، وثالث للنور، ورابع للظلمة. . ويدّعون أن لهم كتاباً مقدساً، ويقدسون «زراد شت» ويعدّونه و «ماني» كأنبياء لهم، وفي هذه الديانة من الخرافات مافيها، وكفى أن النار معبودة عندهم، والشعب كالبهائم يسوقهم آل ساسان وقادتهم، وسدنة النار، وكهنة معابدها. والمناذرة إمارة عربية في جنوبي العراق تعمل لهم وتحت اشرافهم، والصراع مع الرومان لا ينقطع تارة يُغلب الفرس فيتوسع الرومان نحو الشرق وأخرى ينتصر الفرس فينحسر نفوذ الرومان عن بعض الأجزاء الشرقية من دولتهم.

وامبراطورية الحبشة نصرانية تعمل بتوجيه الرومان إلى حدٍّ مادامت العقيدة تجمع بينهما، ويخنع شعبها للنجاشي ولرجال الدين الذين لهم نفوذ كبير حتى على النجاشي نفسه.

وفي الهند إمارات ودول تعتمد الديانة البراهمية التي تُقدّس البقرة، وتعجّ بالخرافات، وأكثر ما يميزها الطبقات المفصولة بعضها عن بعض يأتي على رأسها

الحكام الذين هم يُمثّلون رأس «براهما» فالكهنة الذين يُمثّلون عقله والقادة ويمثلون أكتاف الشودرا أو المنبوذون، وهم بعيدون عن براهما فليس لهم طبقة معتبرة. . . . ولا تتزوج طبقة من أخرى، ولا ينتقل فرد من طبقة إلى أخرى، ومعظم الشعب من الشودرا محتقر، مزدرى، ذليل لأيؤبه به ولا يمسّ، ومن لمسه عليه الغسل والتطهر مما لحقه.

وانتشرت البوذية على أطراف الهند، وتُقدّس «بوذا» الذي كان أحد البراهميين وانشقّ عنهم، ودعا إلى ديانةٍ جديدةٍ، ولهم إمارات في سفوح جبال هيمالايا، وسيلان، وبورما، وشرقي آسيا، وجنوبها الشرقي.

وفي الصين إمارات ودول ترتبط أحياناً بعقدٍ تارة يكون قوياً فتتخذ، وأخرى هزيلاً فينفرط العقد وتتناثر الإمارات. وتدين كلها بالبوذية حسب تعاليم «كونفوشيوس» التي تقوم على عبادة الأجداد، وتمتلىء بالخرافات، ومنها تقديس. «كونفوشيوس» والشعب لا يختلف عن غيره من الشعوب مغلوب على أمره، ولا ينظر إليه على أنه أكثر من سوائم ليس له إلا المرعى وذبح كل من شاء الراعي ذبحه أو أكله.

وفي اليابان شعب مُتخلّف يدين بالبوذية على المبدأ الشنتوي الذي يعدّ الامبراطور ابن الإلهة الشمس لذا يجب تقديسه، وفداءه بالأرواح، وتقديم القرابين.

وتتناثر في شمالي آسيا، وداخل الغابات، وأعالي الجبال مجموعات وثنية مُتخلّفة، وكذا الحال في أوربا الشمالية، ووسط إفريقية وفي الجنوب منها، وفي مجاهل العالم الجديد.

وفي بلاد العرب كانت تعيش مجموعات قبلية، ومدنية، وربما تشكّلت بعض الإمارات أحياناً، وكلها تقوم على عبادة الأصنام، وتقضي حياتها بالرعي، والحروب فيما بينها، وتقضي أوقات فراغها في معاقرة الخمر، ولعب الميسر، واللهو عند صاحبات الرايات. وكان القوي يأكل الضعيف. ويبدد الإنسان ماله باسم الكرم للسمعة والشهرة. ويئد بناته أحياناً خوفاً من الذلّ والعار، ويفضل الذكور

على الإناث للدفاع عن القبيلة، والذود عن العرض. ويقتل المرء نفسه لينال شرف الشجاعة والذكر. ويعرف أهل البادية مسالك بواديهم، ويهتدون بالنجوم، لذلك فقد برزوا في ذلك، كما عُرفوا باقتفاء الأثر، وبرعوا في الشعر والأدب.

## ظهور الإســـلام

هذا العالم البائس الذي يعيش تحت وطأة الظلم، ومآسي الذلّ والاحتقار، وظلمات الجهـل، وغطرسة الأقوياء، وتسلّط الأثرياء، وجبروت الطغاة، وجور الأديان، وفوارق الطبقات، كان لابدّ له من إصطلاح، وكان لابدّ من إرسال رسول من الله ليأخذ بأيدي البشرية نحو طريق الخير والصلاح، والهداية والرشاد.

وقد مضت قرون عدة تقرب من الستة قرون «٥٧٧» لم يبعث الله بها نبياً ولم يرسـل رسولاً. حتى إذا أظلمت الدنيا وغطّى ظلامها بالجهل، والخرافة، والاستبداد، والظلم، والانحراف بعث الله محمداً بدين ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، فكان خاتم الأنبياء، ورسالاته آخر الرسالات، فهي للعالم جميعاً، وللبشر كلهم.

دعا رسول الله قومه فآمن من آمن وجحد من جحد، وأخيراً انتصر الحق وزهق الباطل وبأقل من ربع قرنٍ عمّ الإسلام جزيرة العرب. واكتمل الدين، وانتهى التشريع، واشتـدّ ساعـد الإسلام، وانتقل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى الـرفيق الأعلى، وقام أصحابه بالدعوة بعده، ورفعوا راية الجهاد، وانطلقوا يُقوّضون الظلم والاستبداد، ويدكّون عروش الطغيان من الأرض. . . . فانتشر الإسلام في أرجاء واسعةٍ.